

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة مفرغة ( ٣ )

# كيف نحقق الزهد

[ تعليق وشرح للأسباب التي ذكرها ابن القيم في كيفية تحقيق الزهد ] .

للشيخ

سليمان بن محمد اللهيبيد

السعودية - رفحاء

تم إلقاء هذه المحاضرة عبر البث المباشر عبر الإنترنت

تفضل بزيارة موقع الشيخ سليمان

[www.almotaqeen.net](http://www.almotaqeen.net)

## كيف نحقق الزهد

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
أما بعد

ضمن دروس ( مختارات من كلام ابن القيم ) فهذا هو الدرس الثاني من هذه الدروس وهو بعنوان : كيف نحقق  
الزهد ، فقد ذكر رحمه الله بعض الأسباب التي يحقق بها المسلم الزهد ، وقبل ذكر هذه الأسباب مع تعليق  
خفيف عليها ، أذكر مقدمة فأقول مستعيناً بالله مصلياً على رسول الله عليه الصلاة والسلام :

الزهد عرفه ابن تيمية بقوله : ترك ما لا ينفع في الآخرة .

إن الزهد في الدنيا شعار الصالحين .

إن الزهد في الدنيا دليل اليقين .

إن الزهد في الدنيا شعار الأنبياء والصالحين .

إن الزهد في الدنيا – أيها الإخوة – منزلة رفيعة ، وعلامة عظيمة ، دليل على اليقين والإيمان بالله تعالى وبوعده

ولذلك كان الزهد في هذه الدنيا سبب لمحبة الله تعالى ، كما جاء في الحديث عند ابن ماجه عن سهل قال ( جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله ؟ فقال : ازهد في الدنيا  
يحبك الله ) .

: لأن الزهد في الدنيا دليل الإنابة والتقوى ، ودليل على أن الإنسان عنده رغبة في الجنة ، ولو لم يكن في بغض  
الدنيا و الزهد في الدنيا إلا هذه المنقبة لكفى بها شرفاً وفضلاً .

يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : من فوائد هذا الحديث :

١- أن من زهد في الدنيا أحبه الله ، لأن الزهد في الدنيا يستلزم الرغبة في الآخرة .

٢- أن الطمع في الدنيا والتعلق بها سبب لبغض الله تبارك وتعالى ، وقد قال بعض السلف [مهر الجنة ترك  
الدنيا] .

فالزهد في الدنيا سبب لمحبة الله ، لأن الإنسان لا يزهد في الدنيا حقيقة إلا من أيقن بالجنة ، كما سيأتي بعد  
قليل إن شاء الله .

ولذلك كان رسول الله ﷺ على غاية من الإعراض عنها مع تمكنه من التوسع فيها، فقد كان يقول ﷺ ( إنما أنا  
عبد، آكل كما يأكل العبد ، أجلس كما يجلس العبد )

وكان يمر عليه شهران ولا يُوقد في بيوته مصابيح ولا نار لطبخ ، وإنما كان طعامهم التمر والماء .

وكان له جيران لهم غنم فيرسلون له من لبنها ، وكان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء .

وأيضاً أيها الإخوة الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن

قال الحسن : الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن .

وصدق رحمه الله : فإن الزاهد في الدنيا لا ينافس في عزها ، ولا يغضب من نقصها ، ولا يحسد من أجلها ، ولا يهتم لذهابها ولا يركض وراءها .

قال عمرو بن العاص: ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ ، إنه كان أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها .

وقال مالك : بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة .

وقال الفضيل : حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهّدوا في الدنيا .

قال علي : من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات .

وقال ابن مسعود : من أراد الآخرة أضر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، يا قوم فأضربوا بالقبول للباقي .

وعنه قال : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم؟ قيل له: بأي شيء؟ قال : إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم .

وقال الربيع قال لي الشافعي : عليك بالزهد فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلبي على المرأة الناهد .

قال ابن رجب : فالزهد في الدنيا يُراد به تفرغ القلب من الاشتغال بها ، ليتفرغ لطلب الله ومعرفته والقرب منه والأنس به والشوق إلى لقائه .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - بعض الأسباب - التي تساعد في الزهد :

فقال رحمه الله :

أحدها : علم العبد أنها ظلٌّ زائل ، وخيالٌ زائر ، وأنها كما قال تعالى (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ) .

وصدق رحمه الله : فإن الإنسان لا يمكن أن يزهد في الدنيا حتى يعرف حقيقتها .

فمما يسهل عليك الزهد فيها : علمك يقيناً أنها زائلة فانية ، سريعة الزوال والاضمحلال ، مليئة بالغصص والأنكاد .

فهي دار نفاق لا محل لإحلال ، ومركب عبور لا منزل جبور ، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، وحيها يموت ، وخيرها يفوت .

أحلام نوم أو كظلٍ زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع .

فهي إذاً سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء .

قال عمر بن عبد العزيز في وصفها :

بقاؤها قليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدارها فالمغرور من اغتر بها ، الركون إليها خطر ، والثقة بها غرر ، كثيرة التغير ، سريعة التنكير ، أمانيتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، عيشها نكد ، وصفوها كدر ، والمرء منها على خطر ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرّت

يوماً ساءت أشهراً وأعواماً ، غناها مصيره إلى فقر ، وفرحها يؤول إلى ترح ، وهيئات هيهات أن يدوم بها قرار .

وكان الإمام أحمد يقول : يا دار ، تخربين ويموت سكانك .

**قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع  
كم واثقٍ بالعمر أفبته وجامعٍ بددت ما يجمع**

قال تعالى عن مؤمن فرعون أنه قال لقومه (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) .

قال ابن رجب : والمتاع هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى ، فما عييت الدنيا بأبلغ من ذكر فنائها وتقلب أحوالها ، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها ، فتبدل صحتها بالسقم ، ووجودها بالعدم ، وشبيبتها بالهرم ، ونعيمها بالبؤس ، وحياتها بالموت ، وعمارتها بالخراب ، واجتماعها بفرقة الأحباب ، وكل ما فوق التراب تراب .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال ﷺ ( مالي و للدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ) رواه الترمذي .

وقال ﷺ لابن عمر ( يا ابن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) رواه البخاري وفي رواية ( وعد نفسك من أهل القبور ) .

هذه وصية النبي ﷺ لابن عمر ، وهي في الواقع وصية له وللأمة من بعده رضي الله عنه وأرضاه .

قال الإمام النووي رحمه الله في معنى الحديث : ( لا تترك إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ) . [كتاب رياض الصالحين]

قال ﷺ ( لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقا كافراً شربة ماء ) رواه الترمذي .

نعم : فلا يمكن أن تزهدي في الدنيا حتى تعرف حقيقتها ، وهذه حقيقتها : لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .

وقال ﷺ ( والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ) رواه مسلم .

قال النووي : معنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ، ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر .

قال تعالى ( وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْوُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ) .

وقال تعالى ( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام : الدنيا قنطره فاعبروها ولا تعمروها .

وقال عيسى عليه السلام لأصحابه : من ذا الذي يبني على موج البحار داراً تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً .

وقال يونس بن عبيد : ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم ، فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذا انتبه .

وقال أبو حازم : من عرف الدنيا لم يفرح فيها برحاء ، ولم يحزن على بلوى .

وقال ابن مسعود - في كلمة مهمة فيه الفرق الكبير بيننا وبين السف - يقول : أنتم اليوم أكثر صلاة وعبادة من أصحاب الرسول ﷺ وكانوا خيراً منكم ، فقيل لما ؟ قال كانوا أزهدي في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم .

وقال الحسن البصري : أن عمر مر علي مزبلة ووقف عندها وقال لأصحابه وقد تأذوا منها : قال هذه دنياكم التي تحرصون عليها .

ولذلك قال الشاعر

**خذ من الرزق ما كفى .....ومن العيش ما صفى**

**كلُّ هذا سينقضي .....كسراجٍ إذا انطفى**

قال بعض السلف : ما من حبرةٍ إلا يتبعها عبرة ، وما كان ضحكك في الدنيا إلا كان بعده بكاء ، ومن عرف الدنيا حق معرفتها حقرها وأبغضها .

ولما علم أهل الفضل والنهي أن الله عز وجل قد أهان الدنيا ولم يرضها جزاء لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة ذليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها ، وحذر أصحابه من فتنها ، أكلوا منها قليلاً ، وقدموا كثيراً ، وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي ، لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام ما سد الجوع ، نظروا إلى الدنيا بعين فاحصة ، فعلموا أنها فانية ، وإلى الآخرة فعلموا أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب وما بقي عمروا به الآخرة ، ثم تفكروا ملياً في أمر الآخرة فارتحلوا إليها بقلوبهم قبل أن ترتحل إليها أبدانهم .

**إن لله عبادةً فطنا                      طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا**

**نظروا إليها فلما علموا                  أنها ليست لحي وطنا**

**جعلوها لجةً واتخذوا                    صالح الأعمال فيها سفنا .**

قال علي رضي الله عنه : إن الدنيا أدبرت ، وإن الآخرة أقبلت ، ولكل بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

قال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة .

وقال الحسن البصري : من أحب الدنيا وسرته خرج حب الآخرة من قلبه .

وقد سئل مرة من المرآت من الفقيه يا أبا سعيد ؟ فقال الزاهد في الدنيا الراغب بالآخرة .

إذا الأمر الأول المعين على تحقيق الزهد هو معرفة حقيقة الدنيا وسرعة زوالها وانقضائها وغصصها وأنكادها .

وصدق ابن عجلان حين قال : من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها .

**ثم قال ابن القيم رحمه الله :**

**ثانياً : علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهي دار البقاء .**

وهذا من أعظم ما يحقق الزهد ، أن يوقن الإنسان إيقاناً كاملاً بالجنة ، وأن ينظر فيها وفي إقبالها ومجيئها ودوامها ، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات ، والتفاوت العظيم بينها وبين هذه الدار الحقيرة .

فإن الإنسان لا يمكن أن يزهد في شيءٍ إلا إذا أيقن أن بعد هذا الشيء ، شيء أعظم وأجل .

قال الله تعالى ( والآخرة خير وأبقى ) فهي خيرات كاملة دائمة ، والدنيا خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة .

الجنة كما قال ﷺ ( من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم ) وهذا إشارة إلى بقاء الجنة ، وبقاء جميع ما فيها من النعيم ، وأن صفات أهلها كاملة من الشباب لا تتغير أبداً ، وملابسهم التي عليهم من الثياب لا تبلى أبداً .

قال أحد السلف : لو كانت الدنيا ذهب يفتى ، والآخرة خزف يبقى لأثرت ما يبقى على ما يفنى فكيف والآخرة ذهب يبقى و الدنيا خزف يفنى .

الجنة : فيها : ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

الجنة : ( فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) .

الجنة : قال ﷺ ( موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ) .

الجنة : دار النعيم والسرور .

الجنة : ( فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ) .

الجنة : ( فيه شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ) .

الجنة : لا موت فيها وحزن ( وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ) ، وفي الحديث ( يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت )

تصور نفسك يا أخي الكريم إن كنت من أهل الجنة يوم يقال لك ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( فِي شُعَلٍ فَأَكْبَهُونَ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) .

أهل الجنة يا أخي : ( وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٍ ) .

فعلى المسلم أن يعلق قلبه بالجنة ، وأن يقرأ في أوصافها في القرآن والسنة ، حتى يتعلق قلبه بها ، ويعرف حقيقتها وبقائها وحسنها وجمالها .

فلا يمكن أن يزهد في الدنيا حتى يوقن بالجنة وبقائها ومجيئها وقدمها وأنها حق ، حين ذلك يزهد في هذه الدنيا الحقيرة ، بل لا يلتفت إليها ، ولا ينظر إليها .

ثم قال ابن القيم رحمه الله :

ثالثاً: معرفته أن زهده فيها لا يمنع شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها. وهذا من الأسباب المهمة في الزهد في الدنيا ، أنه إذا تيقن هذا الكلام ، وعلم علماً مؤكداً أن زهده لا يمنع شيئاً من الدنيا ، وأن حرصه على الدنيا لا يمكن أن يأتي له بشيء منها إلا ما كتب له ، فلو عرف ذلك حقيقة هان عليه الزهد في الدنيا .

فما هو مكتوب لك سيأتيك، زهدت في الدنيا أو لم تزهد، فاطمئن وارتح، فازهد فيها تنل الدنيا والآخرة . واعلم أن زهدك في الدنيا لا يضيع عليك الدنيا ، بل العكس ، ربما يزهدك في الدنيا تأتيك الدنيا من توفيق الله تعالى .

وقد قال ابن كثير : من طبع الدنيا المهرب ممن طلبها ، والطلب لمن هرب منها .

فكثير من الناس يركضون وراء الدنيا، بل يبيعون أيمانهم ودينهم ولم يحصلوا منها شيئاً، فحسروا الدنيا والآخرة . وبعض الناس زهد فيها ، فجاءته الدنيا ، فجمع بين الدنيا والآخرة ، كحال بعض العلماء الربانيون الزهاد ، فإنهم تركوا الدنيا ، فجاءتهم الدنيا من كل صوب وجهة .

فما عند الله أيها الإخوة لا ينال بمعصية الله ، إنما ينال بطاعة الله كما في الحديث قال ﷺ ( إن روح القدس نفث في روعي ، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجلوا في الطلب فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته ) . وقد سئل الحسن البصري عن سر زهده ؟

فقال الحسن :

علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي .

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به .

وعلمت أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي .

ثم قال ابن القيم رحمه الله : فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد في الدنيا ، وتثبت قدمه في مقامه . في ختام الدرس : أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في العلم والعمل ، وأن تكون الدنيا زاداً لنا في كل خير ، وأن لا تكون الدنيا أكبر همنا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الاثنين ١٥ / ٤ / ١٤٢٩ هـ

موقع مجلة رياض المتقين

[www.almotaqeen.net](http://www.almotaqeen.net)